القضاء، حصدتهم المنون، هجرتهم الحياة. في لحظة خاطفة كأنّها بلا عمر خرّوا صرعى، وما حاشهم عن الكعبة بنان، أتاهم أمر ا، «الكلمة» أردتهم، وليس الرماح والسهام والسيوف، «كن» هي التي أوردتهم الحُتُوف[313]. بلا حراك ولا أنفاس تناثروا على ثرى[314] البلدة المقدّسة مجندلين[315]، بلا أجداث[316]ولا لحود، غسلهم الدم، أكفانهن سافيات[317] الرمال، لُحّادهم[318] الوباء، قبورهم العراء. الهَلَكة جاءتهم من طريق المحال، سحقهم جند مجهول: طير أبابيل، مزّقهم سلاح مجهول: حجارة من سجّيل، فإذا هم جُذاذات[319] كحبّ الحصيد[320]، كهشيم[321]، كتبن مدروس[322]، كعصف مأكول، فما بكت عليهم السماء والأرض، وما كانوا منظرين. * * * لقد شاء الأشرم، لكن ما شاء ا هو الذي كان. نجت مكّة، حمى ا الكعبة، حفظ بيته الحرام، ليكون ذلك الآتي الذي تنفّس يومئذ أوُلى نسمات الدنيا هو من يفعل فعل أبويه الكريمَيْن: إبراهيم وإسماعيل،